الصلات السياسية العراقية ــ المصرية في عهد الدولة البابلية الحديثة(٦٢٦ــ٥٣٩ق.م)

د.هديب غزالة*

ولد سقوط العاصمة الآشورية نينوي عام٦١٢ق.م علي يد نبوبلاصر مؤسس الدولة البابلية الحديثة(٦٢٦ــ٥٣٩ق.م) وضوحاً قلقاً في الشرق الأدنى القديم ومنطقة غرب اسيا واسيا الصغري[١]،وقد آثار هذا السقوط تساؤلاً حول من سيرث السيادة علي تلك المنطقة، وكان يبدو انه ليس هناك أي دولة قادرة علي الاستحواذ علي أجزاء الإمبراطورية الاشورية، ففي الغرب أصبحت مصر قوة كبيرة[٢].بعد أن تمكن بسماتيك الأول(٦٦٤ــ٦١٠ق.م) من تأسيس حكم قوي ازدهرت فيه المملكة المصرية وقويت وتوسع سلطانها[٣]، وفي الجنوب كانت بابل متمثلة بالدولة الكلدية التي اخذت تشكل قوة عظيمة.

أما في الشرق فقد كان الميديون يشكلون مملكة قوية[٤]. وبعد سقوط نينوي ندي أن الميديين انسحبوا إلى بلادهم ولم يطمحوا إلى ضم بلاد أشور إلى بلادهم بل اكتفوا بما حصلوا علية من أسلاب وغنائم وربما قاموا بذلك كخطوة تكتيكية لكسب ود البابليين واختفاء نواياهم المخطط لها مسبقاً والتي تكمن في محاولتهم السيطرة علي العراق، أو ربما كان ذلك لقوة البابليين أو لتعاطف البابليين مع بقايا الآشوريين الذين حاول الميديون القضاء عليهم فيما كان المصريون يطمحون إلى ضم سورية وفلسطين

---

* د.هديب غزالة ــ رئيس قسم الاثار ــ جامعة بابل ــ العراق.

[١] مورتكارت انطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دمشق،١٩٦٧،صـــ٤٣٨

[٢] smth:G:history of bodylonia: new york: 1888: P;137

[٣] باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، بغداد، ١٩٥٦،صـــ٨٢

[٤] smth;G; op; cit; p; 137

تحت نفوذهم[٥]، ولكن نبوبلاصر اتجه عام٦١١ق.م جنوب مونية روجـوتي(rugguti) الواقعة شمال سورية ايذاناً بضرب آخر معاقل الآشوريين في حران والتي اتخذ منهـا الملك الآشوري اشور ــ اوبالط الثاني(٦١١ــ٦٠٩ق.م) قاعدة لجمـع فلـول الجـيش الآشوري المهزوم بعد أن سقطت العاصمة نينوي[٦]وقد قام المصريون بمساعدة الجيش الآشوري الموجود في حران ولكنهم لم يستطيعوا الصمود أمـام الجـيش البـابلي ــ الميدي حيث فروا من مدينة حران وتركوها عام٦١٠ق.م وعاد الميديون الي أراضيهم كما عاد نبوبلاصر إلى بابل بعد ان ترك بعض الحاميات العسكرية فـي الأراضـي السورية[٧]وفي هذه الأثناء توفي ملك مصر بسماتيك الأول عام٦٠٩ق.م وتولي العرش من بعده ابنه نيخوا الثاني(٦١٠ــ٥٩٥ق.م) والذي لم يجد أمامه ما يمنعه من مد نفوذ الإمبراطورية المصرية إلى الأقاليم الاسيويه اذ كانت الإمبراطورية المصرية في هذه الفترة ذات حكم قوي يساعدها علي ذلك[٨]وكان لنيخو مطامح ان يجعل كل آسيا تحـت نفوذه[٩]ولذلك قرر اتخاذ إجراءات واسعة لمساعدة الجيش الآشوري الذي كـان تحـت قيادة اشور ــ اوبالط الثاني اذ قام بقيادة الجيش المصري الرئيس بنفسه إلى سـوريا وكان علية أن يقضي علي العصيان الذي قام به يوشيا(Josiah) حـاكم غـزة فـي فلسطين الذي أغار علي الجيش المصري المتجه شمالاً وتمكن نيخو من دحره وقتلـه في معركة مجدو عام٦٠٨ق.م وبذلك أصبحت فلسطين تحت السيادة المصرية بصورة مؤقته[١٠]أخذت أورشليم تدفع هدايا الطاعة والولاء لمصر[١١]، وبعد ذلك رأي نيخو انـه

---

[٥] باقر طه. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، بغداد، ١٩٧٣، صـ٥٤٦

[٦] Grayson: A,K, Assyrian and Babylonian chronicles: new york: 1975: P: 95

[٧] Grayson: A,K: op: cit: p:96

[٨] برستيد، جيمس هنري، تاريخ مصر من اقدم العصور، ترجمة محرم كرم، القاهرة،١٩٢٩،صـ٣٩٣

[٩] The Gambridge Ancient History: Gambridge: 1954: 1971: P210

[١٠] Saggs: H,W,F: The Greatness that was Babylon: Londan;1962: P141

[١١] إبراهيم نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ج١، القاهرة،١٩٥٨، صـ٣٠٩

ليس من الصعب عليه أن يخضع سورية فالتحم مع الجيش الآشوري في كركحيش[١٢] بعد أن فرض سيطرته علي منطقة كيموخو(Kimuhu) الواقعة علي ضفة نهر الفرات وقضي علي الحاميات البابلية التي كان قد تركها نبوبلاصر في هذه المنطقة[١٣]، ولكموخو أهمية استراتيجية اذ أنها تتحكم بالطريق الذي يربط شمال سورية بجنوبها ماراً من حماه إلى كركميش(جرابلس حالياً) وقد اتخذ المصريون من كركميش قاعدة لتحركاتهم فعمد نبوبلاصر إلى إقامة حامية قوية إلى الجنوب منها وذلك علي نهر الفرات عند قورماتي(Quramati) المحمية بثلاث قري هي سونادیري(sunadiri) وايلامو(elammu) ودخامو(duhammu) بعدها انسحب الجيش البابلي بعد أن ترك تلك الحامية القوية ولكنها هوجمت من جديد من المصريين الذين عبروا الفرات وانسحب رجال الحامية الموجودة في قورماني انسحاباً استراتيجياً باتجاه الجنوب[١٤]، عندئذ تدخل نبوبلاصر الذي أقعده المرض وكبر السن لإنقاذ الموقف فارسل حملة عسكرية بقيادة ولده وولي عهده نبوخذ نصر الثاني(٦٠٤-٥٦٢ق.م) من اجل القضاء علي القوات التي هاجمت الحامية البابلية[١٥] وكانت حركة الجيش البابلي تتصف بالمباغتة وعدم التوقع وذلك فانهم كلما توغلوا في الجهة اليمني لاعالي الفرات كلما ازدهرت حراجة موقف المصريين في كركميش وصار الطريق الذاهب إلى البحر اكثر سهولة وهذا ما وفر فرصة لضرب خطوط الإمدادات للمصريين في أعالي فلسطين[١٦]، لما سمع نيخو بتقدم الجيش البابلي جمع قواته وأسرع لملاقاته علي الحدود الشمالية لنهر الفرات وذلك عام٦٠٥ق.م والتحم الطرفان عند مدينة كركميش في

---

[١٢] Saggas: H,W,F: op: cit: P141

[١٣] Grayson,A.K.,op. Cit.,P97-98.

[١٤] محمد حياة ابراهيم ميخائيل، نبوخذ نصر الثاني، بغداد، ١٩٨٣، صـ٥٢:٥١

[١٥] ملرش، ج١، قصة الحضارة في سومر وبابل، ترجمة عطا البكري، بغداد،١٩٧١، صـ٨٠

[١٦] The Cambridge Ancient History, P211.

معركة كان من نتيجتها اندحار الجيش المصري الذي تعقب نبوخذ نصر الثاني فلوله المنهزمه إلى مدينة حماه والحق بهم هزيمة ساحقة بحيث أن أي رجل منهم لم يستطيع الفرار[١٧]، ولكن سماعه بخبر وفاة والدة نبوبلاصر في بابل اجبره علي عدم التقدم والاستمرار في التوغل إلى داخل الأراضي المصرية حيث اتفق مع الملك نيخو علي فض المشكلات التي بينهما ورجع إلى بابل لحضور مراسيم دفن والدة وحفلة تتويجه ملكاً عليها عام٦٠٤ق.م[١٨]وهناك رأي آخر يقول أن نبوخذ نصر الثاني كان في مدينة البلة السورية حينما سمع بخبر وفاة والده وليس هناك دليل أكيد علي أن ملاحقة نبوخذ نصر الثاني للجيش المصري قد وصلت إلى الحدود المصرية[١٩]وقد يكون الرأي الثاني هو المرجح اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار انه لم تكن أطماع للدولة البابلية في ضم مصر تحت نفوذها وجعلها أحد الأقاليم التابعة لها ولذلك لي تكن هناك دوافع واسباب تجعل نبوخذ نصر الثاني يستمر في مطاردته للجيش المصري إلى حدود مصر وتحميل جيشه متاعب المطاردة التي لا مبرر لها وعناءها.

وكان من نتائج معركة كركميش أن أصبحت كل من سوريا بما فيها فلسطين ودويلات شرق الأردن(ايورم وموأب وعمون) والساحل الفينيقي تحت سيطرة الدولة الكلدية(البابلية الحديثة)[٢٠]وجاء في العهد القديم عن هذه الأحداث:

"ان ملك مصر لم يخرج مرة أخرى من بلاده لان ملك بابل قد اخذ كل ما يمتلكة من نهر مصر إلى نهر الفرات"[٢١]

---

[١٧] Wisemem, D.J.,Chronicels of chaldeam king, Londan, 1956,P69

[١٨] برستد، جيمس هنري، المصدر السابق، صـ٣٩٤

[١٩] Wiseman, D.J.,nebuhadrezzaur and babylon, Londan, 1985, P17

[٢٠] محمد حياة إبراهيم، المصدر السابق،٦٢٠

[٢١] العهد القديم، سفر الملوك الثاني،صـ٢٤:٧

ولكن مصر لم تهدأ بعد هذه الأحداث اذ رأت أن حلمها بالاستيلاء علي سورية وجعلها تحت نفوذها قد توارى كالسراب بعد سيطرة الجيش البابلي عليها وأصبحت مصر في هذه الفترة مستعدة كل الاستعداد لإثارة المشكلات في بلاد سورية[٢٢]، ولهذا قام نبوخذ نصر بحملات عسكرية سنوية علي البلاد السورية من اجل إخماد التمردات التي تحدث في تلك البلاد، ففي سنة حكمة الاولي٦٠٤ق.م قاد جيشه إلى بلاد مثي وجاب مدنها دون معارضة تذكر وتمكن من إخضاع عسقلان والسيطرة عليها واسر حاكمها وجلب معه الكثير من الغنائم واجلي الأسرى الذين سيقوا الي بلاد بابل[٢٣].

ومما يمكن قولة ان ملوك مصر كانوا يحرضون الأقاليم السورية والفلسطينية للتمرد والعصيان ضد البابليين وتلك نفس المهمة التي كانوا سيقومون بها أيام الوجود الآشوري في تلك المنطقة[٢٤].

وبهذا فقد بدأت صفحة جديدة من صفحات توتر العلاقات السياسية بين الدولتين المصرية والبابلية، ففي عام٦٠١ق.م اضطر نبوخذ مصر إلى القيام بحملة ضد مصر نفسها[٢٥]حيث التقي الجيشان في معركة عنيفه كما يتضح ذلك فيما جاء ذكره في كتاب العهد القديم:

"كثر العاثرون حتي سقط الواحد علي صاحبة ويقولوا اقوموا فنرجع إلى شعبنا والي ارض بلادنا من وجه السيف الصارم"[٢٦]

وانسحب الجيش البابلي بقيادة نبوخذ نصر إلى بلاد بابل[٢٧].

---

[٢٢] رو جورج، العراق القديم، ترجمة حسين علوان، بغداد،١٩٨٤، صـ٥٠٧

[٢٣] Wiseman, D.J., Chronicels, P.69

[٢٤] باقر طه، واخرون، تاريخ العراق القديم،ج١، بغداد،١٩٨٠، صـ٢٥١

[٢٥] Gray son. A.K.,op.cit.,P.101

[٢٦] العهد القديم، سفرارميا٤٦:١٦

[٢٧] Gray son,A.K.op,cit.,P.107

وتمثل هذه المعركة ثاني لقاء حربي بين الجيشين البابلي والمصري بعد معركة كركميش عام٦٠٥ق.م وكان من نتائج انسحاب الجيش البابلي أن تشجع يهوياكيم حاكم يهوذا علي إعلان التمرد والعصيان ضد ملك بابل بعد ولائه له لمدة ثلاث سنوات متوالية[٢٨]. وكان هذا سبباً مباشراً لقيام نبوخذ نصر فيما بعد بشن حملة علي يهوذا وفتح أورشليم عام٥٩٧ق.م.

وبالرغم من اندحار الجيش المصري في معركة كركميش عام٦٠٥ق.م وفي المعركة الثانية عام٦٠١ق.م فانهم لم يتخلوا عن تدخلهم بشؤون الدويلات السورية والفلسطينية[٢٩] واستمروا في سياستهم بتحريض تلك الدويلات ضد البابليين خصوصاً بعد أن شعروا بقرب الجيش البابلي من حدودهم وبعد فتح أورشليم[٣٠].

وحين اعتلي عرش مصر بسماتيك الثاني(٥٩٤-٥٨٨ق.م) خلفاً لنيخو فأن سياسة تحريض الدويلات التابعة للحكم البابلي بالتمرد والامتناع عن دفع الجزيه قد استمرت وكان لبسماتيك الثاني رغبة في التوسع داخل الأراضي الفلسطينية ومعارضة النفوذ البابلي في بلاد الشام فراح يعد العدة لمنازلة النفوذ البابلي سواء بالصدام العسكري أو بالدبلوماسية السياسية مع دويلات بلاد الشام واقاليمها[٣١].

لم تقف مصر متفرجه علي عمل نبوخذ نصر الثاني وهو يحاصر أورشليم ثانية عام٥٨٦ق.م فقام الملك ابريز(Apris) (٥٨٨-٥٦٨ق.م) الذي تولي العرش بعد بسماتيك الثاني الذي توفي عندما كانت القوات البابلية تحاصر أورشليم بمساعدة صوفيا حاكم يهوذا ضد الجيش البابلي فقاد جيش بنفسه وهو يتطلع إلى توسيع نفوذ مصر في

---

[٢٨] العهد القديم، سفر الملوك الثاني٢٤:١

[٢٩] باقر طه، علاقات العراق القديم، مجلة سومر، المجلد٤،ج١، بغداد،١٩٤٨، صـ٩٦.

[٣٠] الاحمد سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، بغداد،١٩٧٩، صـ٢٣٤.

[٣١] محمد حياة إبراهيم، المصدر السابق، صـ٧١.

فلسطين[٣٢] وحقق نجاحاً في باديء الامر واستولي علي غزة وصيدا وتقدم باتجاه أورشليم واضطرت الحاميات البابلية إلى التراجع والانسحاب عن أورشليم تاركه القادة المناوئين البابليين مسيطرين علي الوضع، ولكن كان رد فعل نبوخذ نصر الثاني قوياً اذ أرسل جيشاً لردع المصريين مما اضطرهم إلى الانسحاب تاركين صدقيا وجيشه تقضي عليهم الحاميات البابلية[٣٣] لقد كانت مشكلة نبوخذ نصر الرئيسية في مجال السياسة الخارجية هي مصر، ولم تكن دوافع ذلك عسكرية فقط بل اقتصادية ايضاً وذلك في محاولة للسيطرة علي الطرق القادمة من شمال الجزيرة العربية اذ كانت مصر تقف عائقاً بوجه سيطرة البابليين في الغرب[٣٤] بالرغم من عدم وجود أي دليل علي تفكير البابليين في جعل مصر إقليماً تابعاً لسيادتهم المباشرة بقدر ما كانوا يريدون منها عدم التدخل في شؤونهم الخاصة في دويلات المدن السورية والفلسطينية[٣٥].

ولكن البابلييون أدركوا أن تدخل مصر في شؤون تلك الدويلات لا ينقطع ما لم توجه حمله عسكرية ضد مصر نفسها فاستغل نبوخذ نصر الثاني حالة الحرب الداخلية بين الملك ابريز والملك(اماسيس) للقيام بحملة ضد مصر وتم ذلك فعلاً في السنة السابعة والثلاثين من حكمه عام٥٦٨ق.م ولكن المعلومات الواردة عن هذه الحمله التاريخية قليلة جداً، اذ ليس في متناولنا ما يشير إليها إلا قطعة صغيرة مكتوب عليها بالخط المسماري وهي الآن محفوظة في المتحف البريطاني[٣٦].

---

[٣٢] الحمد سامي سعيد، المصدر السابق، صـ٢٣٤.

[٣٣] Saggs,H.W.F.,op.cit.,P.122.

[٣٤] Saggs,H.W.F.,op.cit.,P.143.

[٣٥] رو جورج، المصدر السابق، صـ٥٠٩.

[٣٦] حسن سليم، مصر القديمة، ج١، القاهرة،١٩٥٧، صـ٢٩٨.

وطبقاً للإشارة الواردة في كتاب العهد القديم فأن نبوخذ نصر قد حقق انتصار علي المصريين في هذه المعركة[٣٧]، وأكد ذلك الباحث دوغرتي(Douyherty) اذ أشار إلى انتصار نبوخذ نصر الثاني علي اماسيس ملك مصر[٣٨]وعلي مرتزقة الإغريق ووصل إلى الدلتا وترك مورنات علي الصخر في وادي بريشا وفي نهر الكلب في بلاد الشام[٣٩].وقد أشارت بعض الروايات الإغريقية إلى أن نبوخذ نصر قد وصل في فتوحاته إلى ليبيا والي المناطق التي بعدها وصولاً إلى ايبريا(Sberia)[٤٠]وهناك اشترك بعض المرتزقة الاغريق كمقاتلين في الجيش المصري في حروبه ضد الجيش البابلي وذلك لخبرتهم في ركوب البحر وبناء السفن وعلاقتهم التجارية الواسعة مع مصر[٤١].

ولذلك فمن المرجح أن المعركة كانت كبيرة بين الطرفين وبشكل خاص في الأطراف الساحلية لمصر بدليل ورود ذكر(بوطوياما) الذي يرجح أنها(قرنيه) الواقعة علي الساحل الليبي، مما يشير إلى وصول نبوخذ نصر إلى الحدود الليبية[٤٢].

لقد انتهج احمس الثاني(امسيش) (٥٧٠-٥٢٦ق.م) سياسة المهادنه والدفاع عن النفس واخذ يناهض سياسة التوسع الفاشلة وهي السياسة التي كان قد انتهجها (ابريز) في الشرق الغرب وأثبتت فشلها وطبقاً للسياسة التي اتبعها احمس الثاني لم تقم حرب بين الدولتين البابلية والمصرية منذ ذلك الحين واستمرت حالة السلام بين

---

[٣٧] العهد القديم، المصدر السابق، صـ٥٠٩.

[٣٨] Dougherty,R.,The Sealand Of Ancient Arabia,In Yale Oriental Sories,Researches,V,14.New Haven,1932,P.115.

[٣٩] ديلابورت، لبلاد ما بين النهرين حضارة بابل واشور، ترجمة مارون الخوري، بيروت، ١٩٧١، صـ٦٦. وحول المدونات التي تركها نبوخذ نصر الثاني في وادي بريشا انظر: ANET.,P.307.

[٤٠] Wisemen,D.J.,nebu chadrezzar and Babylon,P.40.
وحول المدونات التي تركها نبوخذ نصر الثاني في وادي بريشا انظر:
ANET.,P.307.

[٤١] يويورت جان، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهره، ١٩٦٦، صـ١٨٩.

[٤٢] محمد حياة إبراهيم، المصدر السابق، صـ٧٨.

الدولتين حتي في زمن خلفاء نبوخذ نصر اميل-مردوخ(٥٦٢-٥٦٠ق.م) ونرجال-شار-اوصر(٥٦٠-٥٥٦ق.م) ولباشي مردوخ(٥٥٦ق.م) ونبونئيد(٥٥٥-٥٣٩ق.م) . لان إعادة فتح فلسطين وسورية لم تعد في فكرة احمس الثاني وسياسته اذ تدل الأحداث التاريخية انه قد قامت علاقات طيبة بين مصر وبابل، لاسيما في الأيام الأخيرة من العهد البابلي الحديث[٤٣] حين انضم الملك نبونئيد الي حلف الليديين والمصريين وعقدت معاهده دفاعية بين كل من احمس الثاني وملك مصر ونبونئيد ملك بابل وكرويوس(قارون) ملك ليبيا للوقوف في وجه الغزو الاخميني الجديد[٤٤].

وخلاصة القول ان علاقة مصر بالدولة البابلية الحديثة كانت في منافسة معها في بادئ الأمر للسيطرة علي الدويلات السورية والفلسطينية ووضعها تحت نفوذ المملكة المصرية وأخذت مصر تقوم بمهمة المحرض لتلك الدويلات علي العصيان والتمرد ضد البابليين ولكنها فشلت في تحقيق نواياها بعد أن انتصر عليها الجيش البابلي في اكثر من معركة دارت بين الطرفين، لكن السياسة المصرية تغيرت بعد تولي احمس الثاني للعرش عام٥٧٠ق.م بعد أن أمر ضم كل من فلسطين وسورية تحت السيادة المصرية أمر لا يمكن تحقيقه لذلك كانت علاقة الدولتين البابلية والمصرية في عهده علاقة طيبة تميزت بسلام استمر حتي نهاية الدولة البابلية الحديثة عام٥٣٩ق.م.

---

[٤٣] حسن سليم، المصدر السابق، صـ٢٩٩-٣٠٠.

[٤٤] الدليمي محمد صبيحي، العلاقات العراقية المصرية في العصور القديمة منذ منتصف الألف الرابع وحتي عام٥٣٩ق.م، رسالة ماجستير مقدمة الي كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٨، صـ١٨٤.